إستراتيجية جديدة نحو تفهيم الإسلام وترسيخ عقيدته في قلوب المسلمين في الصين

ـ أداء شعائر الحج نموذجا ـ

A New Strategy towards Islam and the Consolidation of Faith in the Hearts of Muslims in China
– The Case of the Hajj Pilgrimage -

Satu Strategi Baru Terhadap Islam dan Penyatuan Iman dalam hati umat Islam di China
– Kes Ibadat Haji -

يونس عبد الله ما تشنغ بين الصيني*

الملخّص

إن كل ركن من أركان الإسلام يعتبر منهجا متكاملا في أدائه، وما ينتجه من آثاره في تربية المسلم، وتزكيته، وتحقيق سعادته في الدنيا والآخرة. الصلاة في حد ذاتها مدرسة ولها منهج متكامل في تهذيب المسلم، وتحسين حياته، وتحقيق سعادته في الدنيا والآخرة. وكذلك الزكاة في جوهرها ومنهجها في تحقيق سعادة الفرد والمجتمع. يهدف هذا البحث إلى إبراز عظمة الحج وآثاره في من يؤدي شعائره، وما يتبع ذلك من منافع في فهم الإسلام، والعمل به، ودعوة الناس إليه في العالم الذي ينغمس فيه كل فرد في الماديات، وفي إشباع الرغبات الجسدية. والبحث يتكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة. وفي إتمام هذا البحث اعتمد الباحث على المنهجين الوصفي والتحليلي مع التثبت بالصدق والأمانة في سرد المعلومات ومناقشتها. وقد تبين للباحث من خلال ذكر نماذج من العلماء والتجار مدى آثار الحج في

* محاضر اللغة العربية بمركز الدراسات الأساسية التابعة للجامعة الإسلاميةالعالمية بماليزيا.

نقل الإنسان من الأنانية إلى التضحية والكرم، وانسلاخه من النزعات المادية إلى الصفات الربانية التي تعطي الغذاء للروح والاستقامة في السلوك.

الكلمات المفتاحية: الحج، الترسيخ، المسلمون في الصين، الثورة الثقافية، المصلح، التعليم الإسلامي المسجدي.

Abstract

Each of the pillars of Islam has its own complete approach for its performance and unique effects that nurture the Muslim who observes its rites. It guides him and contributes to his happiness in this world and in the hereafter. Ṣolāh is in itself a complete school for refining Muslims towards improving their life and achieving happiness in this world and the hereafter. Zakāh is essentially an approach to achieve happiness for the individual and society. This research highlights the greatness of the Hajj and its effects on the pilgrim in addition to its benefits for the understanding of Islam. It is a reminder of the purity of faith in a materialistic world where people are often engaged in the satisfaction of physical desires. It comprises a descriptive analysis of the views of Muslim scholars and traders regarding how Hajj transforms from selfish materialism to self-sacrifice and generosity, whilst nurturing divine qualities that foster integrity in conduct.

Keywords: pilgrimage, consolidation, Muslims in China, the Cultural Revolution, the reformer, the Islamic Education in Mosques.

Abstrak

Setiap satu daripada rukun Islam memilik pendekatan tersendiri yang lengkap untuk pelaksanaan dan kesan yang unik bagi orang-orang Islam yang mengerjakan ibadat itu. Ia memberi panduan kepadanya dan memberi kebahagiaan di dunia dan di akhirat. Ṣolāh itu sendiri satu pengerjaan yang lengkap untuk menyempurnakan umat Islam ke arah peningkatan kehidupan mereka dan untuk mencapai kebahagian di dunia dan akhirat. Zakāh adalah satu pendekatan untuk memperolehi kebahagiaan bagi setiap individu dan masyarakat. Kajian ini menyerlahkan kebesaran ibadat Haji dan kesannya terhadap jemaah haji dan tambahan pula manfaatnya untuk memahami Islam. Ia adalah satu peringatan tentang kemurnian iman di dunia materialistik di mana orang ramai terlibat dalam kepuasan keinginan fizikal. Ia terdiri daripada analisis deskriptif pandangan ulama dan peniaga berkaitan dengan cara bagaimana ibadat Haji mengubah seseorang dari sifat materialisme ke pengorbanan diri dan keikhlasan disamping memupuk sifat-sifat suci yang mengasuh amalnya.

Kata Kunci: Ibadah Haji, Penyatuan, Umat Islam di China, Revolusi Kebudayaan, Reformis, Pendidikan Islam di Masjid.

المقدمة

يرجع تاريخ وصول العرب إلى الصين قبل ظهور الإسلام، ويثبت ذلك من الوثائق التاريخية الإسلامية والصينية. ويجمع علماء التاريخ في الصين على أن أول اتصال رسمي بين الدولة العربية الإسلامية وبين الصين تم في عام 651م في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقد دخل الإسلام في الصين مع دخول التجار المسلمين من العرب والفرس، والتجار بطبيعة الحال كان همهم الأكبر الكسب المادي؛ ولكن أمانتهم في التعامل، وصدقهم، وإخلاصهم في معاملاتهم مع الصينيين قد فتحت أعينهم نحو الإسلام والمسلمين. ولكن الدعوة إلى الحق لم يكن لها انتشار واسع بين الصينيين أو أثر كبير بسبب ندرة العلماء والدعاة إلى الحق بين الصينيين. ومن هنا نجد الإسلام دائرته ضيقة، وعدد المسلمين قليلا بالمقارنة مع الدول المجاورة التي أصبحت دولا إسلامية بكثرة من دخل في الإسلام[1].

وعلى أية حال نجد غالبية المسلمين يقطنون في خمس مقاطعات الواقعة في شمال غربي الصين[2]، وهذه المناطق لها حدود مع كل من الهند وباكستان وقزاقستان. وأكثر من يقطن في الحدود مع هذه الدول ينتمون إلى قوميات مختلفة، ومن أهمها وأكبرها القومية الويغورية التي ما زالت تحاول أن تحافظ على هويتها الدينية والقومية دون أن تذوب في القوميات الصينية الوثنية السائدة في الصين، الأمر الذي جعلت رجال الحكم والقادة السياسيين في المنطقة ينظرون إلى هؤلاء الويغوريين متمردين على

---

[1] – إبراهيم فنغ جين يوان، **الإسلام في الصين** (نينشيا (Nin Xia): الدار الشعبية للنشر والتوزيع بمقاطعة نينشيا، 1993م)، ص9.

[2] وبعد ما مضى على انتشار الإسلام في الصين أكثر من 1300 سنة أصبح الإسلام عقيدة مشتركة لدى عشر أقليات قومية هي: هوي، والويغور، والقازاق، والقرغيز، والتاتار، والأوزبك، والطاجيك، ودونغشيانغ، وسالار، وباوآن، وهذه القوميات العشر هي من القوميات الست والخمسين الموجودة في الصين.

الدولة، ومعارضين على سياستها، ومازالت الحالة متوترة في هذه المناطق الويغورية، وأصبحت ممارساتهم لشعائر الإسلام، وحفاظهم على هويتهم الدينية صعبا للغاية، وتحديا لنظام الدولة لدى الحكام في المنطقة.

وهذا البحث ليس الهدف منه مناقشة قضية الويغوريين، ولا عرض مشاكلهم، ومعاناتهم أو تحليل ما لهم وما عليهم في التعايش السلمي مع بقية القوميات الصينية في الدولة؛ وإنما يتركز هذا البحث بالدرجة الأولى على القوميات الإسلامية ذات الجذور الصينية التي تقطن متفرقة في أنحاء الصين وسط الأغلبية الساحقة غير المسلمة من الإلحادية والبوذية والطاوية والكنفوشيوسية. وهؤلاء المسلمون من الجذور الصينية لم يكن لهم تاريخ مشرق من حيث الحفاظ على هويتهم الدينية، وفهم عقيدة الإسلام وشريعته، وتطبيق أحكامه وأوامره. ومع ذلك لا بد أن نعترف بجهود بعض علمائنا وأئمتنا الذين استطاعوا من حين إلى آخر توعية المسلمين، وترسيخ عقيدة الإسلام وشريعته، وبيان ضرورة حماية هذا الدين من خلال متابعة النبي صلى الله عليه وسلم، وسلفنا الصالح .

جهود العلماء وآثارهم بين المسلمين بعد عودتهم من أداء فريضة الحج.

لا أحد من المسلمين يقلل من قيمة الحج ومكانته كأهم ركن من أركان الإسلام. وهذا الركن في إتمامه يحتاج من المسلم أن يكون مؤهلا من حيث الصحة البدنية والمادية وسلامة الطريق في الوصول إلى مكة المكرمة. ومن هنا لا يتمكن من المسلمين إلا عدد قليل منهم فقط في إتمام هذا الركن. فتقديرا لما يبذله المسلم من مجهودات مادية ومعنوية و ما يتحمله من مشقة بدنية في تحقيق هذا الواجب الديني

أصبح مألوفا بين المسلمين أن يلقّب من يؤدي هذا الركن باسم "الحاج" دون إطلاق أي لقب لمن يؤدي بقية أركان الإسلام.

وتأتي أهمية أداء فريضة الحج، وتشريف الحاج في الصين بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقا إلى سببين:

1. بُعد المسافة ومشقة السفر

إن دولة الصين الواقعة في أقصى الشرق من العالم تبعد عن مكة المكرمة بآلاف أميال كما يصل فرق التوقيت إلى أكثر من ثمان ساعات، وطريق السفر البرية كانت تمر بأدغال وغابات وجبال وصحراء، مستغرقة دولا كثيرة وإن كانت طريق البحر فهي أيضا كانت تمتد من البحر الصيني في المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي والبحر العربي. وفي بداية القرن الماضي سواء كان الحاج يسلك طريق البر أو طريق البحر فهو كان يستغرق أكثر من سنتين،[3] وبالتالي ليس كل من ينوي الحج ويخرج متجها نحو مكة المكرمة على يقين من عودته. كثيرا ما تتعرض قوافل الحج البرية والبحرية لقطاع الطرق وقراصنة البحر تارة عند الذهاب وتارة عند العودة. وهذا بالإضافة إلى من تدركه المنية أثناء الذهاب أو العودة. ومن ثم لا يرجع ممن ذهب في القافلة إلى الحج إلا قليلون منهم بعد الرحلة الطويلة الشاقة.[4]

2. صعوبة الحياة المادية وحرمان الحج للمسلمين أيام الثورة الثقافية وقبلها.

إن مشقة السفر وطول المسافة وطول الزمن المستغرق في إتمام الحج لم تكن وحدها حاجزا للقيام بأداء فريضة الحج؛ بل كانت حالة المسلمين السيئة ماديا حاجزا أكبر في تحقيق شعائر الحج؛ ولذلك كان المسلمون يجمعون سنوات وسنوات مما

---

[3] -عائشة، **رحلة التقوى** (قانصو-الصين: الدار القومية بقانصو للنشر والتوزيع، ط1، 2006م)، ص8.

[4] -المرجع السابق، ونفس الصفحة.

يكسبون من أموالهم بغية أداء فريضة الحج، وعندما يخرج أحد المسلمين إلى الحج من قرية أو مدينة يحتفي أهل القرية والمدينة قاطبة بحفاوة وسرور هذا الشخص في توديعه أو استقباله عند العودة، وفي كل قرية أو مدينة لا يزيد عدد الحجاج أصابع اليد. وإن كانت هذه الظاهرة العامة في الصين بخصوص أداء فريضة الحج فهي صارت ممنوعة؛ بل مجرد التفكير في أدائه جريمة في العهد الشيوعي الذي امتد إلى أكثر من الثلاثين سنة الماضية ابتداء عام 1949 إلى 1979 تحت شعار الثورة الثقافية. ومن لطف الله وتوفيقه سبحانه وتعالى نجد هذه الحالة المانعة في أداء فريضة الحج قد تغيرت، وتحسنت بعد عصر الانفتاح السياسي والإصلاح الاقتصادي في الصين ابتداء من عام 1979م.

وهكذا كانت تمتد رحلة مسلمي الصين نحو مكة المكرمة لأداء فريضة الحج بين العقبات والحرمان بالرغم من قلة عددهم وانحطاط مستواهم المادي والعلم الديني. والجدير بالذكر أن يكون مع قافلة الحج بعض العلماء من أجل إرشادهم وتوجيههم في إتمام شعائر الحج، وعادة أصبحت نظرة المسلمين للحجاج تختلف للحجاج عما كانت عليها من قبل الحج، والحجاج يجدون احتراما وتقديرا أكثر بعد عودتهم من الحج، فالمجتمع المسلم أيضا ينتظر من الحاج أن يكون مسلما مثاليا يقتدى به بين أهل قريته ومدينته، والحاج العائد نفسه كان يشعر بهذه المسؤولية والاحترام المتبادل تجاه نظرة المجتمع إليه، وأي مخالفة شرعية يقع فيها العائد من الحج ينظر إليها المجتمع كأنها كبيرة، أما العلماء الذين يشتركون مع قوافل الحج فوضعهم يختلف عن الباقين كثيرا، وهم القدوة والأسوة للمسلمين في جميع الأحوال والظروف، وهم يعرفون المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقيهم باعتبارهم علماء يعرفون شريعة الله وهم كانوا ينتهزون فرصة أداء شعائر الحج، وإقامتهم في أرض الحجاز بالإضافة إلى تزكية أنفسهم، وتطهير نفوسهم، وتقربهم من الله إلى التزود من العلم الشرعي بالاحتكاك بالعلماء

والاستماع إلى مواعظهم وخطبهم ودروسهم الدينية. ويعتبرون أنفسهم سفراء ونوابا لإخوانهم المسلمين في الصين، وبالتالي يحاولون تسجيل كل ما يرونه من جمال الإسلام من تعاون وتآلف ومساوات وخدمات وإكرام وغيرها من الصفات المحمودة، في هذا التجمع الكبير تحت شعار" **لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لا شَرِيكَ لَكَ**...".

وهؤلاء العلماء العائدون من الحج يعرفون ماذا ينتظر منهم إخوانهم المسلمون بعد العودة. والعلماء الحجاج يزدادون منزلة ومكانة وتقديرا بين المسلمين. وبالتالي يصبحون آذانا صاغية لكل ما يقولون. فهؤلاء العلماء مدركون هذه المسؤولية بالإضافة إلى التزود من العلوم الدينية، والخبرات المتنوعة كانوا يحملون عند عودتهم أكبر قدر من الكتب الإسلامية من مصادر أصلية في التفسير والحديث والعقيدة والشريعة والأخلاق والآداب وتاريخ مسلمي الصين ما زال يتذكر ويجني ثمار ما زرعه بعض العلماء بعد عودتهم من الحج، ومن أبرز هؤلاء العلماء:

النموذج الأول: الشيخ الإمام نوح ما قوه يوان– المصلح الإسلامي في الصين في القرن الماضي

الشيخ الإمام نوح ما وان فو Ma Wanfu (1853--1934)، ولد في قرية قوه يوان (معناه: البستان) بمحافظة ذاتية الحكم لقومية دونغشيانغ المسلمة بمقاطعة قانسو عام 1934م، فسمي ب "ما قوه يوان"، والمعروف أيضا ب" الحاج قوه يوان"؛ لأنه ذهب إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج. كان جده إبراهيم وأبوه داود من أئمة المساجد في القرى. وتربى نوح بالتربية الإسلامية الجيدة من أبيه وجده منذ نعومة أظفاره. فبدأ يدرس القرآن الكريم والمعارف الإسلامية في المسجد وهو في السادس من

عمره، وأثناء دراسته في المسجد ظهر ذكاؤه ونبوغه فحصل على ثناء أساتذته منذ ذلك الوقت. فتخرج نوح في أيدى الأئمة في المساجد وهو الثاني والعشرين من عمره، فعين إماما في المسجد بقرية قوه يوان عام 1875م.[5]

وصار الإمام مشهورا بعلمه الواسع، وجهده المثابر في سبيل نشر الدعوة الإسلامية في المنطقة. واشتغل الإمام نوح في مسجد قريته بسنتين ثم دعي للعمل بالإمامة في المساجد خارج القرية والمنطقة. وكان الإمام نوح قد استوعب وحفظ جميع المواد التي كان يدرّسها للتلاميذ في المساجد في ذاك الوقت ومن أهمها كالآتي:

1. «ملا عصام الدين» ويسمى أيضا ب "شرح الكافية"، وهو كتاب جامع نحوي ضخم مكوّن من مليون كلمة بقلم النحوي الشهير عبد الرحمن الجامي(1397-1477هـ). ويعتبر هذا الكتاب من كتب البراعة في تعلم نظريات القواعد العربية، ويهتم بها مسلمو الصين غاية الاهتمام.
2. «مختصر البيان» ويسمى أيضا ب"تلخيص المفتاح" أي علم البيان، وهو من أعمال سعد الدين تفتازاني خرساني (1321-1389هـ) آسيا الوسطى، ويقل حجمه عن "ملا "عصام الدين الجامي بعض الشيء.
3. « شرح الوقاية » لمحمود ؟ (1347- ؟) ، وهو كتاب الفقه الحنفي المعتمد في الصين.

وبجهده وجديته في التعليم والدعوة، وفصاحته في المواعظ، وتقواه، وتمسكه بالدين، وبساطته في الحياة صار إماما شابا مرموقا ذا الشهرة والتأثير وسط رجال

---

[5] -ما تونغ، **المذاهب والطوائف الإسلامية في الصين ونشأتها** (نينشيا (Nin Xia): الدار الشعبية للنشر والتوزيع بمقاطعة نينشيا ، ط2، 2000)، ص133.

الدين بالمنطقة، فأصبح له أسلوب ناجح خاص بالتعليم في المساجد، فتخرج كثير من التلاميذ في يده فأصبحوا فيما بعد أئمة وعلماء بارزين في الدعوة والتعليم.[6]

أداء الحج ومواصلة الدراسة

وفي عام 1886م قرر الشيخ الإمام نوح وهو في الثالث والثلاثين من عمره مع أستاذه الإمام وارث والأخر صديقه اسمه ما هوي سان للسفر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج. وانطلقوا باتخاذ طريق شينجيانغ بداية الرحلة مرورا بأفغانستان وإيران والعراق، وبعد سنة ونصف وصلوا إلى مكة المكرمة.

وبعد أداء فريضة الحج مكث الشيخ الإمام نوح في مكة المكرمة من أجل الدراسة عند العلماء العرب. وبدأ يتتلمذ على يد الشيخ المشهور والعالم البارز الشيخ الحلبى ثم الشيخ أبي قير بمكة المكرمة،[7] ودرس عندهم علوم القرآن، وعلوم الحديث، والفقه وأصوله، والتاريخ والخ... لمدة أربع سنوات، وكان الشيخ نوح يطالع الكتب الكثيرة أثناء دراسته وهو كان واسع الاطلاع وعميق القراءات. وذكاؤه واجتهاده في طلب العلم، وطريق تفكيره أعجب كثيرا من شيوخ مكة وأساتذته في وقته. وخلال دراسته رأى وجوب إنقاذ الإسلام في الصين بإعادته إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم والتمسك بوحدانية الله تمسكا قويا، ومحاربة الشرك بشتى أنواعه.

وفي عام 1892م غادر الشيخ نوح مكة المكرمة عائدا إلى الصين لنشر الدعوة الإسلامية حاملا كثيرا من الكتب الإسلامية ومنها: «كتاب التوحيد» و«كشف الشبهات» و«عجائب المهمات» إضافة إلى «تفسير روح المعاني»، ونوى أن يصلح أحوال المسلمين الدينية في الصين بإعادتهم إلى كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم. وذلك لأن الإسلام بعد دخوله في الصين قد تصيّن، واندمجت الثقافة الإسلامية

---

[6] -**سيرة الحاج الشيخ نوح ما قوه يوان**، http://www.wenyuanwang.com.

[7] -موسى بن سليمان الصيمي، "**تأثير مدرسة هان سيوه بالصين في فهم أحكام الإسلام**: دراسة أصولية تحليلية"،(رسالة ماجستير، قسم الفقه والأصول-أكاديمية الدراسات الإسلامية -جامعة ملايا، 2012م)، ص38.

مع الثقافة الصينية المكونة من أفكار الديانة البوذية والطاوية والأفكار الكنفوشيوسية. وقد ازداد بعد المسلمين عن أصالة الإسلام بسبب اختلاط الكتب الدينية المكتوبة بالعربية والفارسية الآتية من بلاد الفارس (إيران) بحكم أن بلاد فارس هي الأقرب جغرافيا، والأكثر اتصالا بالمسلمين الصينيين، فكانت إيران دولة معروفة بالشيعة، ومركزا لنشر الفكر الشيعي. وفي مواد الدراسة الدينية قد اندمج كثير من الفكر الشيعي كما دخلت العادات الشيعية بين المسلمين، وفي المقابل كانت الكتب الإسلامية الأصيلة على منهج أهل السنة والجماعة نادرة بالإضافة إلى ندرة المواد الدراسية المتكامل نظامها على منهج أهل السنة والجماعة. فظهرت العادات والتقاليد التي يتمسك بها المسلمون مخالفة للقرآن الكريم والسنة النبوية، وكذلك كان الأئمة في المساجد يشرحون المسائل الدينية دون رجوعها إلى أصولها، وتوثيق صحتها بما يشاؤون مع مبالغتهم في ترغيب أداء النوافل مع إهمال الأصول والفرائض، الأمر الذي أدى إلى انشغال المسلمين بالأمور الثانوية من عادات وتقاليد تاركين أداء الواجبات من الصلاة والصوم والزكاة وغيرها مما علم من الدين بالضرورة.[8]

وبدأ الشيخ نوح بعد عودته إلى الصين يحارب البدع والخرافات والشركيات المتأثرة بثقافة البلد وديانته وما دخلت من تأثير الشيعة وكتبهم. وكان أكثر اهتمامه منصبا على تعليم المسلمين عقيدة الإسلام وشريعته بضوابط منهج أهل السنة والجماعة.

وقد وضع الشيخ نوح في إطار دعوته الإسلامية منهاجا إصلاحيا بالتعاون مع بعض العلماء على أساس أصول مختارة من ثمانية كتب إسلامية وإخراجها في كتاب يحتوي على عشرة أحكام عرفت فيما بعد ب"بنود الحاج البستاني العشرة" التي يتركز

[8] المرجع السابق.

لبّها على "اتباع الكتاب والسنة ونبذ العادات السخيفة"، وكما وضع الشيخ في هذه الدعوة التجديدة ثلاثة عناصر رئيسة حسب ما رسمه أهل السنة والجماعة وهي:

1. نبذ البدع.
2. نبذ التقاليد.
3. نبذ العادات الصينية التي اندمجت مع الإسلام وهي لسيت جزءا من الدين ولا من تعاليمه النقية.

وتعتبر هذه أساسا لنشأة مذهب سني باسم "الإخوان" بعد ما حظي بتأييد عدد كبير من العلماء والمسلمين. وبالفعل قد نجح الشيخ نوح في دعوته بين المسلمين في الصين واهتدى كثير من الأئمة والعلماء بدعوته فصار مذهب "الإخوان" على نهج أهل السنة والجماعة.[9]

النموذج الثاني: الداعيان المصلحان: الشيخ عبد الله ما ده باو (1867-1977) والشيخ يونس ما تشنغ تشينغ (1878- 1958م) رحمهما الله. وهما يعتبران من أوائل الدعاة إلى تطبيق السنة النبوية الشريفة في حياة المسلمين في الصين إذ كان كثير من المسلمين في الصين لايعرفون دور السنة في حياتهم الدينية والدنوية بالرغم من وجود بعض الكتب في الأحاديث النبوية الشريفة؛ وكان جهود العلماء كثيرا ما تدور حول القضايا الفقهية المتعلقة بالعبادات مع وجود كثير من البدع والخرافات والمحدثات في حياة المسلمين. وكان من فضل الله ولطفه سفر الشيخ عبد الله والشيخ يونس لأداء فريضة الحج مع البعثة الكبيرة التي نظمها الجنرال مالين Ma Lin حاكم مقاطعة تشينغهاي عام 1936م على نفقته الخاصة. وكان من ضمن البعثة العلماء

[9] – تشانغ تشي هوا، **ملخص الثقافة الإسلامية في الصين** (نينشيا (Nin Xia): الدار الشعبية للنشر والتوزيع بمقاطعة نينشيا ، ط1، 2010)، ص63.

الكبار العشر من مذهب "الإخوان" بوصفهم مستشارين ومترجمين. وكان الشيخ عبد الله ماده باو والشيخ يونس منهم. وقد مكثت بعثة الحج بمكة المكرمة ثمانية أشهر، وقد استفاد هذان الشيخان أثناء بقائهما بمكة المكرمة من العلماء والكتب الدينية الأصيلة. وقد أدرك الشيخان بعد مشاهدة حياة المسلمين في ضواحي مكة المكرمة مدى ما دخل في حياة المسلمين الصينيين من البدع والخرافات والمحدثات... وهذا الوضع السيء والهزيل من المسلمين جعل الشيخين عبد الله ويونس يفكران بشدة وحماس في كيفية إعادة المسلمين إلى كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وتنقية أحوالهم من الظواهر المنحرفة. وكان من أكبر خطوة لتحقيق هذا الهدف ما اتخذه الشيخان عبد الله ويونس بعد عودتهما من مكة المكرمة من نشر كتب الأحاديث، وشرحها بين المسلمين باللغة الصينية لتفهيمهم مبادئ الإسلام وحقائقه من خلال فهم الأحاديث النبوية الشريفة. ومن أهم الكتب التي حملها الشيخ عبد الله والشيخ يونس عند مغادرة بعثة الحج مكة المكرمة: «الصحاح الستة» و«تفسير روح المعاني » و«مفتاح الجنة» و«رياض الصالحين». وبعد عودتهما إلى الصين بدأ الشيخان يقومان بالدعوة إلى تطبيق سنة النبي صلى الله عليه وسلم في حياة المسلمين، ومن هنا صار المسلمون في الصين يعرفون كتب «الصحاح الستة» ودور السنة في الإسلام، فبدأت بين المسلمين أصوات لإحياء سنة النبي ﷺ تأثرا بدعوتهما تاركين البدعة والخرافات التقليدية التي توارثوها.[10]

[10] – **ملخص الثقافة الإسلامية في الصين**، ص63.

النموذج الثالث: رائد التعليم الإسلامي في الصين الشيخ إلياس هو دنغ تشو (1522- 1597م)

تمت إشارة السجلات التاريخية إلى أن التعليم الإسلامي في الصين ظهر في أواسط القرن السادس عشر الميلادي، وتفرع هذا التعليم إلى اتجاهين من حيث أسلوب التعليم؛ الأول: التعليم التقليدي في المساجد. والثاني: التعليم النظامي في المدارس الإسلامية. ويعد المعلم الإسلامي الكبير الشيخ إلياس هُو دِنْغ تشُو (1522-1597م) رائد التعليم في المساجد حيث أدخل التعليم الديني ضمن مسؤولية الإمام ورسالة المسجد. وقد لقّبه تلامذته ب"أستاذ الأساتذة" [11]تقديرًا لجهوده وإسهاماته في التعليم المسجدي، ونشر الإسلام في الصين. وكان قد درس اللغة الصينية وتعاليم كونفوشيوس منذ صغره، ودرس علوم الاسلام باللغة العربية واللغة الفارسية، فتبحر فيها، ثم سافر إلى مكة المكرمة لحج بيت الله الحرام، وبها اتصل بالعلماء الأفاضل وزار الجوامع والمساجد فأُعجب بنظام تعليم المدارس التابعة للمساجد. وعند عودته إلى الصين من الحج سافر الى بعض البلاد الاسلامية، فوقف على أوضاع الثقافة والتعليم فى تلك البلاد. وحينما رجع الى الصين، عاين بأم عينيه النقص الكبير عند الأئمة الصينيين الأكفاء، وحاجة المسلمين الصينيين الماسة إلى دراسة اللغة العربية والعلوم الاسلامية. فعقد العزم على مزاولة التعليم الاسلامي بنفسه وهو قد جاوز الخمسين من العمر.[12] فقبل فى أول الأمر قرابة مائة طالب مسلم من الشباب لتعليمهم في داره، وأخذ يعلمهم العربية وعلوم الاسلام. وكان ينفق عليهم من ماله الخاص. وسرعان ما ظهرت الكتاتيب في المساجد الأخرى فتحولت المساجد إلى المدارس.

---

[11] - **الإسلام في الصين**، ص180.

[12] - **ملخص الثقافة الإسلامية في الصين**، ص56.

ويستهدف التعليم الإسلامي في الصين في الأساس إلى تربية العقيدة الدينية، والقيم والمبادئ الأخلاقية، والمعارف الإسلامية. ومن الوثائق التاريخية علمنا أن التعليم الإسلامي في الصين قبل ظهور "التعليم الإسلامي المسجدي" كان معتمدا على شكل التعليم المنزلي. فقد اعتاد المسلم أن يعلم أطفاله ومَن أسلم حديثا من أهله اللغة العربية شفاهة فى منزله، ويقرئهم القرآن، كما يلقّنهم شفاهة المعارف الأساسية في علوم الإسلام والشريعة والفقه، ويقودهم في أداء الفرائض الدينية. وكان التعليم الاسلامي يجري على شكل آخر أيضا، وهو أن يلقن الأئمة والفقهاء الوافدون من بلاد الفرس القرآن والعلوم الاسلامية في المساجد، ويقرئونهم القرآن بالعربية، ويعلمونهم اللغتين الفارسية والعربية اللتين ظلتا لغتي تخاطب لدى المسلمين الصينيين حتى أواخر عصر يوان (Yuan 1206—1368م)، وقد أنشأ هؤلاء الأئمة والفقهاء الفرس كثيرا من "بيوت المسلمين"، كمراكز للتعليم الاسلامي، وأماكن لأداء الشعائر الدينية الإسلامية في أنحاء الصين. إذ قد توافد إلى بلاد الصين في ذلك الوقت عدد كبير من الأئمة والفقهاء الفرس تلبية لحاجة المساجد التي كانت تفتقر الى من يرعى شئونها من الأئمة القادرين عليها.[13]

النموذج الرابع : رائد التعليم الإسلامي النظامي المدرسي في الصين الشيخ الإمام عبد الرحمن وانغ هاو ران (Wang Hao Ran 1848 -1919م)

نشأ الشيخ عبد الرحمن وان هاو ران في أسرة مخلصة متدينة، وكان يعتبر من أبرز المثقفين المسلمين الصينيين، الذين كان لهم دور بارز في تأسيس المدارس

[13] -مؤسس التعليم الإسلامي المسجدي في الصين الشيخ هو دنغ تشو، **رسالة الإسلام**، 19/6/2013، http://www.islam.net.cn/html/zhongguomusilin/gaikuang/2013/0619/5053.html

الإسلامية الجديدة، والتي تشمل العلوم الدينية والعلوم الاجتماعية، وبجهودهم شهدت فترة الثلاثينيات انتشارا للمدارس الإسلامية الابتدائية والإعدادية والثانوية على نطاق واسع، فخلال عشر سنوات، أنشأ المسلمون ما يقرب من 1500 مدرسة ابتدائية وإعدادية، وحوالي 300 مدرسة ثانوية.[14] وكان أول من قام بإنشاء المدارس الإسلامية النظامية الحديثة بالصين هو الشيخ عبد الرحمن وانغ هاو ران (Wang Hao Ran1848-1919م) الذي أدى فريضة الحج، وحصل من الحجاز على العديد من الكتب الدينية، وقام بجولة استطلاعية في تركيا وبعض الدول الإسلامية في الشرق الأوسط للاستفادة من علماء الإسلام هناك، وهناك رأى الظروف الصعبة لأبناء الشعب وغطرسة المستعمرين الغربيين في تلك الدول. بعد أن عاد إلى الوطن محملا بالمشاهد التي رآها قال لأصدقائه: "إن لنا إخوة في تلك الدول يعانون، مثلنا، من اضطهاد واستغلال الأوروبيين. إن السبب في هذا هو تقدم الأوروبيين في التعليم والعلوم بينما نحن ضعفاء. وإذا سألت عن الخلاص فقلت: إنه لايتم إلا بفتح المدارس لتزويد أبنائنا بالمعارف الحديثة، كي يبنوا وطنهم بكفاءتهم وعلمهم، وبذلك أيضا يمكن للمسلمين الصينيين أن يقفوا على قدم المساواة مع أبناء الوطن من القوميات الأخرى... ،" وواصل الإمام المعلم بالقول: "ولكي نلحق بالغربيين ثقافيا وعلميا لابد لنا أن نتبنى أسلوبا جديدا في إدارة المدارس؛ فإلى جانب الدروس الدينية المشمولة في التعليم المسجدي، علينا أن نعلّم الطلاب الهندسة والرياضيات والعلوم وغيرها..."، [15] فقام الشيخ عبد الرحمن وانغ هاو ران بتأسيس أول مدرسة إسلامية حديثة في عام

---

[14] –أسامة عبد السلام،"التعليم الإسلامي في الصين"، **الصين اليوم** (بكين: دار مجلة الصين اليوم التابعة للمجموعة الصينية للنشر الدولي)، مارس 2012م، ص58.

[15] – ماجد تشنغ بوه رونغ، **مدرسة تشنغدا للمعلمين– معلم على طريق التعليم الإسلامي في تاريخ الصين الحديث،**

http://www.chinatoday.com.cn/Arabic/2006n/0605/p36.htm

1907 ميلادية، ثم أعقبها مدرسة أخرى في العام الثاني. وكان الشيخ عبد الرحمن وانغ هاو ران شخصية بارزة في الأوساط الدينية ببكين. هذا الأسلوب من التعليم الحديث توارث التقاليد الحميدة للتعليم الإسلامي في المساجد، وأضاف إليها المواد الدراسية الحديثة في العلوم الاجتماعية، وهي المواد التي افتقر إليها التعليم الإسلامي المسجدي، ونقل العملية التعليمية من المسجد إلى المدرسة، وهكذا دخل التعليم الإسلامي إلى مرحلة جديدة في الصين.

لقد تطورت الدراسة بالمساجد حيث تقرر تدريس العلوم الإسلامية باللغة الصينية، بالإضافة إلى اللغتين العربية والفارسية، وقد أدى ذلك إلى زيادة أعداد الدارسين، وإلى ترجمة العديد من الكتب الدينية إلى اللغة الصينية، فظهر التعليم الإسلامي النظامي في المدارس الإسلامية في بداية القرن العشرين.

ويُعد الشيخ عبد الرحمن وانغ هاو ران هو رائد التعليم الإسلامي النظامي المدرسي في الصين، حتى ساد التعليم الإسلامي الحديث سائر المدن والقرى الصينية، فتأسست مدرسة تيانجين(Tian Jin) الإسلامية على يد الشيخ "يانغ تشونغ مينغ" (Yang Zhongming) عام 1910 ميلادية. و هي تلتزم بالاهتمام بالحضارة الإسلامية والحضارة الصينية، ومدرسة تشنغدا (Cheng Da) الإسلامية للمعلمين في بيبينغ (بكين حاليا) على يد الشيخ "ما سونج تينج" (Ma Son Ting) في عام 1925 ميلادية، ومدرسة شانغهاي الإسلامية للمعلمين على الشيخ دا بوه شنغ (Da Pusheng) والشيخ ها ده تشنغ (Ha Decheng) عام 1929م، ومدرسة وانشيان (Wan Xian)الإسلامية للمعلمين على يد تشو جي سان (Zhou Jisan) والسيد لي رن شان (Li Renshan) عام 1928، والخ ...، وتوالى إنشاء المدارس الإسلامية الحديثة في بكين العاصمة، وفي أغلب المناطق، وأوفدت هذه المدارس خمسين من

المتخرجين فيها لاستكمال دراساتهم بالأزهر الشريف، وهكاذا بدأت تتضح معالم هوية التعليم الإسلامي بالصين.

تشكل أسلوب التعليم المنتظم في المدارس الإسلامية في الصين في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي، وقد جاءت "حركة 4 من مايو" عام 1919م بثقافات جديدة إلى الصين، وأثارت تيارا فكريا قويا للإصلاح لدى المثقفين ووجهاء المسلمين، فعقدوا العزم على شق طريق جديد للتعليم الإسلامي من أجل تحسين الواقع الاقتصادي والثقافي للمسلمين الصينيين، ففتحوا مدارس إسلامية نظامية في بكين (Bei Jing)، وشانغهاي (Shang Hai)، ومقاطعات سيتشوان (Si Chuan)، ويوننان (Yun Nan)، وشاندونغ (Shan Dong)، ومنطقة نينيغشيا (Ning Xia) وغيرها، وطبقوا فيها طرقا تربوية حديثة، فبدأ الطلبة فيها يدرسون العلوم الدينية والعلوم الثقافية المعاصرة معا. ومن أشهر هذه المدارس: مدرسة "تشنغدا" (Cheng Da) للمعلمين في بيبينغ (بكين حاليا)، مدرسة المعلمين الإسلامية في شانغهاي (Shang Hai)، مدرسة المعلمين الإسلامية في محافظة "وانشيان"(Wan Xian) لمقاطعة سيتشوان (Si Chuan)، ومدرسة "ووتشونغ"(Wu Zhong) للمعلمين في منطقة نينغشيا (Ning Xia)، ومدرسة "مينغده"(Ming De) المتوسطة في مقاطعة يوننان، ومدرسة "تشونغشي"(Chong Shi) المتوسطة في مدينة جينتشنغ (Jin Cheng) بمقاطعة شنشي (Shan Xi). وقدمت هذه المدارس مساهمات هامة في إعداد المسلمين ذوي الإدراك الديني الراسخ والمعارف العلمية الحديثة. وقد بادر المعلمون المسلمون الرواد إلى إيفاد أعداد كبيرة من المسلمين الشباب إلى مصر والهند (باكستان حاليا) لتعميق دراستهم الدينية، فأصبح الكثير منهم ركيزة لتطوير التعليم والثقافة الإسلامية في الصين.[16]

[16] - **ملخص الثقافة الإسلامية في الصين**، ص62.

المبحث الثاني: مساهمات دعوية بعد عودة الحجاج الصينيين من الحج منذ بدء تطبيق سياسة الإصلاح والانفتاح على الخارج عام 1979م.

إن الحج ركنٌ من أركان الإسلام الخمسة، وهو فرض على كلِّ مستطيع، ذكراً كان أو أنثى. وأول عملية لسماحة حكومة الصين بعد تطبيق سياسة الإصلاح والإنفتاح عام 1979 كانت إعادة حرية الاعتقاد على جميع المواطنين، ومن هنا بدأ المسلمون في الصين بممارسة أداء فريضة الحج من جديد.

وقد مر الإسلام والمسلمون في الصين منذ ثلاثين سنة بالأيام القاسية وخاصة في أيام الثورة الثقافية، حيث بدأ المتطرفون من الحزب الشيوعي ينفّذون المبادئ الشيوعية حرفا بحرف. اعتقادا منهم أن الدين أفيون الشعوب، كان همّ الثورة الثقافية الأول تنقية المجتمع الصيني من العقائد والديانات. وفي إبادة الديانات وإدخال الفكر الشيوعي في قلوب الناس سلكت الثورة الثقافية طرقا ووسائل عدة. فواجه الإسلام في الصين نتيجة هذا الإجراء القمعي العديد من الصدمات بسبب حملات شرسة تحاول اقتلاع كل الجذور الإسلامية، وإجبار المسلمين على التخلي عن عقيدتهم، وحرمانهم من أداء شعائرهم الدينية، وإجبارهم على الدخول في مراكز "التصحيح" التابعة للحزب الشيوعي. ونتيجة هذه الثورة الثقافية تضرر الإسلام والمسلمون ومعظم الدعائم التي تقوم عليها هوية عقيدة الإسلام وشريعته ومن أهمها:

1. إغلاق المدارس الدينية، ومصادرة الكتب الدينية من ضمنها المصحف الشريف.
2. إغلاق المساجد والجوامع، ومنع أداء الشعائر الدينية.

3. إهانة العلماء والأئمة، والقبض على زعماء المسلمين، وإيداعهم السجن، وإعدامهم إذا عارضوا الثورة الثقافية.

4. هروب علماء الدين، وفرار العديد منهم إلى الخارج.

5. إجبار المسلمين الغيورين على الإسلام على ارتكاب المحرمات مثل: تربية الخنازير والإفطار في رمضان.

وقد استمرت هذه الإجراءات القمعية والتعسفية باسم الثورة الثقافية حتى عام1979م. ونتيجة هذه الإجراءات أضطّر المسلمون أن يخفوا عقيدتهم، ولكن الطامة الكبرى كانت في نشأة جيل جديد لا يعرف من الإسلام إلا الاسم؛ لأن هذا الجيل لم يجد التربية الإسلامية، ولم يعرف أبجدية الإسلام، ولذلك أصبح المسلمون وبالأخص الجيل الجديد الذي تربى على الفكر الشيوعي لا يعرف الحلال والحرام، أو أركان الإسلام والإيمان، ولا قراءة القرآن، وأداء الشعائر الدينية، ومع ذلك كانوا يعتبرون أنفسهم مسلمين.

المسلمون وعودتهم إلى مزاولة التجارة

وبعد الانفتاح السياسي والإصلاح الاقتصادي بدأت جميع القوميات تنشط في التجارة، قد أدى هذا الانفتاح إلى مزاولة المسلمين أيضا التجارة حسب حدود طاقتهم، ومع بدء تحسن أحوال المسلمين المادية استأنف المسلمون في أداء فريضة الحج من جديد، ولكن للأسف الشديد كانت معلومات معظم المسافرين للحج المتعلقة بأحكام الحج وسائر الأمور الدينية محدودة؛ ولكن بفضل الله وتوفيقه أصبح الحج نقطة تحول لكثير من الحجاج الصينيين إذ بدأوا يلاحظون هذا التجمع الكبير من المسلمين من أنحاء العالم مختلف الألوان والأشكال والأحجام رجالا ونساء، شيوخا وأطفالا، ومنهم رؤساء ووزراء، ومنهم تجار وموظفون، ومنهم عمال وخدم، والكل

يلتفوا حول الكعبة المشرفة لا فرق على عربي وأعجمي أو أبيض على أسود، كل يؤدي مناسك الحج مستسلمين لقضاء الله وأوامره، ورأوا هذا التنافس العجيب في التقرب إلى الله وطاعته وقد زرع هذه المشاهد والمواقف في قلوب حجاج الصين خاصة هؤلاء التجار الرغبة في التمسك بشريعة دين الله، والابتعاد عن المحرمات والحب الشديد في خدمة الإسلام والمسلمين وبالفعل بدأ الكثيرون منهم بعد العودة من الحج بما حصل لهم من تجارب إيمانية، وبما ملأت قلوبهم من إيمان وحب في الله ولله يغيرون طريقة حياتهم، وأسلوب تعاملهم، وكيفية تجارتهم، ويود الباحث أن يذكر بعض النماذج من الحجاج والتجار المسلمين الصينيين.

النموذج الأول: الحاج مالك والحاجة صفية وجهودهما في سبيل الدعوة بعد عودتهما من الحج.[17]

ولد مالك عام 1959م وزوجته صفية عام 1962م، ونشأ مالك في أسرة مسلمة لاتعرف شيئا عن الإسلام لا الحلال ولا الحرام، وأكل المحرمات وشربها كان شيئا عاديا، ونشأت صفية في أسرة مسلمة مخلصة حيث يصلي والداها دون معرفة المعلومات الإسلامية أكثر.

وبدأ يقوم مالك وصفية بالتجارة بعد الانفتاح والإصلاح كبقية المواطنين في الصين، وكانا جرّبا في المجالات التجارية المختلفة فنجحا فيها فصارا من التجار الناجحين. وفي عام 2001 فتحا أكبر مطعم" إسلامي" فاخر في مدينة لانتشو فصارت التجارة فيه مزدهرة (المطعم الإسلامي في الصين كان يعني عدم بيع لحم الخنزير فقط، أما الأشياء الأخرى مثل: بيع الخمور وشربه والرقص والطرب شيء عادي كبقية المطاعم الصينية)، وكان في المطعم 200 عامل ويصرف لهم شهريا 70

[17] – المقابلة الهاتفية مع الحاج مالك والحاجة صفية، 11/4/2015 في منزل الباحث، من الساعة 10-11 مساء، كوالاليمور-ماليزيا.

ألفا رنمينبي(12 ألف دولار أمريكي) أجرة في ذلك الوقت. ومالك وصفية كانا ينشغلان في التجارة وتطويرها، وليس لديهما وقت ليصليا أويتعلما الأحكام الإسلامية. وفي عام 2002م نصح صديقهما بسفر إلى الحج فوافقا على السفر لأداء الحج، وبدأ يتعلم شروط الحج وأحكامه وكيفية أدائه. فوصلا مكة المكرمة عام 2002م، ولما رأيا الحجاج في موسم الحج، وإخلاصهم، وتقواهم، وتواضعهم، والمساواة فيما بينهم، وحب بعضهم للبعض، والتزامهم بالشريعة أحسا بالندم والذنب بحياتهما، فتابا إلى الله، وعقدا النية والعزم على العودة إلى الإسلام، وقررا فورا إيقاف المطعم الذي يباع فيه الخمور والمأكولات التي فيها الشبهات، واتصلا فورا من المدينة المنورة بأخي صفية الذي كان يدير المطعم أثناء حجهما أن يغلق المطعم فورا ابتغاء مرضات الله، وتجنبا عن المحرمات والشبهات، وهذه كانت الخطوة الأولى. وبعد عودتهما إلى الصين فتح حضانة لتربية الأطفال بإدارة هذه الحضانة وهما راضيان بنجاحهما فيها.

مساهمتهما لمكتبة المسلمين بلنتشو

بعد الانفتاح والإصلاح بدأ يفكر مجموعة من الشباب الغيورين في مدينة لنتشوا في إنشاء مكتبة علمية للمسلمين ليطالع المسلمون الكتب الإسلامية والعلمية والطبيعية، ودعوا المسلمين لتبرعهم بكتبهم، واستجاب المسلمون لندائهم فجمعوا عدادا كبيرا من الكتب العلمية والإسلامية من اللغة الصينية والعربية والإنجليزية، وذلك ابتداء من عام 1993م، وحصلت المشكلة بعد ذلك في اختيار مكان لائق لوضع هذه الكتب الكثير العدد، فبدأ ينقلونها من مسجد إلى مسجد، من بيت إلى بيت. وفي عام 2005م سمع الحاج مالك وزوجته صفية بهذه المشكلة فاشتريا دورا كاملا في عمارة وسط المدينة ليكون مكتبة للمسلمين فهي تعرف الآن ب" مكتبة المسلمين بانتشو"، ومساحة المكتبة تبلغ 300 متر مربع، ووفّر الحاج مالك جميع المعدات في المكتبة لوضع الكتب والكراسي والمكاتب والكمبيوتر وآلة التصوير

والنسخ والفاكس والكامرا وأجهزة التكييف، وجعل مكتبة المسلمين مكتبة حديثة متوفرة بالكتب والمجلات والجرائد والصحف بالإضافة إلى بعض المخطوطات النادرة للدراسة في البحث العلمي في شتى المجالات. وفي عام 2014م انضنت مكتبة المسلمين إلى المكتبة العامة بمقاطعة قانسوا (Gansu)بوصفها فرعا لها. وقد فتح بالمكتبة قسم خاص للتعارف بين المسلمين والمسلمات ولإجراء النشاطات الدينية والاجتماعية والتعارف بين الشباب والشابات بالطريق الشرعي من أجل الزواج، ونتيجة هذه الخدمة بفضل الله استطاعت المكتبة تكوين 200 أسرة مسلمة. وقد أصبحت المكتبة الآن مركزا إسلاميا تجمع التبرعات لخدمة الفقراء والمساكين وتدعيم المعونات للمتضريرين بالكوارث الطبيعية كالزلازل وغيرها دون تفرقة بين المسلمين وغير المسلمين من باب التعايش السلمي الذي يدعو إليه الإسلام. والمكتبة حاليا تملك خمسين ألف نسخة من الكتب، وأكثر من مائتين من الجرائد المتنوعة في كافة المجالات الدينية والعلمية والثقافية. وقد حصلت المكتبة عدة جوائز من الهيئات الحكومية تقديرا لجهودها وخدماتها.

مساهمتهما في بناء مسجد في حي يان تان (Yan Tan) بلنتشو (Lan Zhou):

إن حي "يان تان" (Yan Tan) التابع لمدينة لنتشو في مقاطعة قانسو بالصين منطقة يسكن فيها الصينيون غير المسلمين منذ التاريخ، واشتهرت هذه المنطقة بتربية الخنازير وتجارتها بين غير المسلمين في المدينة، وأهل المنطقة لا يعرفون عن الإسلام ولا المسلمين شيئا. ولم يكن بالحي أحد من المسلمين قبل الانفتاح السياسي بسبب بيئتها القذرة على وجه التقريب. وبدأت هذه المنطقة تتطور، وتزدهر تجاريا في السنوات الأخيرة، وبالتالي أصبح المسلمون أيضا يتجهون إلى هذه المدينة وينشطون في التجارة، وعندئذ أحسوا بحاجتهم الماسة إلى وجود مكان يقدرون أن يؤدوا فيها الصلوات

الخمس، والشعائر الدينية الأخرى؛ ولكنهم لم يوفقوا في استخراج الرخصة من الحكومة لبناء مسجد، ولا لشراء قطعة أرض لبناء المسجد. وفي عام 2011م عندما سمع الحاج مالك وزوجته الحاجة صفية بوجود مبنا كبيرا يريد صاحبه بيعه شريطة أن يدفع ثلث قيمة المبنى مقدما، فقررا مع مساعدة بعض الإخوة من المسلمين لشرائه فورا، وقد دفع الحاج مالك أكثر من أربعة ملايين يوان صينى ثم استطاع بنفوذهما الشخصية أن يدفع بقية المبلغ خلال شهر واحد.

وبعد شراء البيت بدأ الحاج والحاجة يستغلان جميع الوسائل والشخصيات التي تم التعارف عليهم أيام فتح المطعم الفاخر، فاستطاعا عن طريقهم أن يحصلا على رخصة لبناء المسجد من الحكومة، وصار البيت الفاخر مسجدا جديدا في المنطقة، وأول مرة في التاريخ يسمع صوت الآذان في هذه المنطقة غير الإسلامية التي امتلأ فيها الشرك والكفر والحرام. والآن يسكن حول المسجد ألف أسرة مسلمة تقريبا، وفتح في المسجد الفصول الدراسية الإسلامية يدرس فيها أربعون طالبا ملتزما يدرّسهم ستة مدرسين، ويسع المسجد لخمسمائة مصلٍ يوم الجمعة وصلاة التراويح في شهر رمضان ولله الحمد.

النموذج الثاني: عائشة مؤلفة كتاب "رحلة التقوى"

ولدت عائشة في أسرة مخلصة متدينة، وفهمت الإسلام وبعض أحكامه كما فهم معظم المسلمين في الصين من أسرتها ووالديها دون دخولها في أى فصل أو مدرسة للدراسة (أصلا لم تكن في الصين أي مدرسة أو فصل لدراسة الدين الإسلامي للمسلمين أيام طفولتها إذ تزامنت فترة الثورة الثقافية). وهي موظفة حكومية وفقت في أداء فريضة الحج مع زوجها عام 2004م. وأثناء الحج سجلت كل ما شاهدت. ورحلتها إلى الحج منذ بدئها حتى عودتها لم تكن مجرد أداء الفريضة؛ بل حاولت أن تسجل كل انطباعتها ومشاعرها وأحاسيسها أثناء هذه الرحلة، ومن هنا لم يمر يوم

أو ليلة في هذه الرحلة الإيمانية، ولا شعيرة من شعائر الحج دون أن تدخل في تسجيلها، ومن ثم أخرجت كل ما رأت، وعملت، وذاقت في شكل كتاب تحت اسم "رحلة التقوى" باللغة الصينية، وقد أصبح هذا الكتاب منذ صدوره إلى الآن من أحسن الكتب التي تتحدث عن رحلة الحج الإيمانية، وقد صار هذا الكتاب مفتاحا لكثير من المسلمين في الصين لمعرفة حقيقة الإسلام وبالأخص لفهم حقيقة الحج وما نسكه، وتأثيرته في سلوك المسلم عند أدائه، وعودته من مناسكه في مكة المكرمة. وصاحبة الكتاب الحاجة عائشة نفسها أصبحت الآن منذ عوتها من الحج أكثر التزاما وتمسكا بالإسلام وشريعته، وحبا وخدمة للمسلمين، وداعية إسلامية مؤثرة من خلال سلوكها الطيبة، وقدوتها الحسنة إلى الآن، وقد أصبح هذا الكتاب دليلا للمتحيرين، ومرشدا لمن يريد السفر لأداء فريضة الحج.[18]

الخاتمة

إنما ذكرناه من نماذج للحجاج من العلماء والتجار خير دليل على تأثير الحج في إيمانهم وسلوكهم وتفانيهم في طاعة الله وخدمة المسلمين. ورحلة الحج أصبحت بالفعل من أحسن دورة تدريبية، وتربية في فهم جمال الإسلام، وطاعة رب العالمين، وقد أصبح الحج والتحول الذي يجد المسلمون في الصين عند الحجاج بعد عودتهم من الحج واستقامة حياتهم وهي مشحونة بالإيمان والتقوى منارات للمسلمين تضيئ لهم المنهج الوسطي، وطريق الرشاد في عالم الماديات الذي يتنافس فيه من تحقيق رغباتها الجسدية معظم الصينيين ليلا ونهارا بلا توقف، زاعمين ليست الدنيا والحياة فيها إلا للاستمتاع باللذات الجسدية دون قيد أو ضابط.

---

[18] – عائشة، **رحلة التقوى** (قانصو–الصين: الدار القومية بقانصو للنشر والتوزيع، ط1، 2006م).

وبهذه الخاتمة، يحسن بنا أن نلخص أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث:

1. إن بقاء الإسلام والمسلمين في الصين بالرغم من دخوله أرض الصين منذ أكثر من ألف سنة، ومواجهة تحديات ومضايقات لمنع انتشار نور الإسلام، وكونه يرفرف فوق المآذن والمنابر لا محالة يرجع إلى جهود العلماء والأئمة الخلص الذين استطاعوا من حين إلى آخر توعية المسلمين، وترسيخ عقيدة الإسلام وشريعته، وبيان ضرورة حماية هذا الدين من خلال متابعة النبي صلى الله عليه وسلم، وسلفنا الصالح، وتاريخ الإسلام وأمة الإسلام في الصين لا شك يُكِنُّ لهؤلاء كل التقدير، ويشهد لهم أمام الله يوم القيامة.

2. إن من أبرز الادوار التي يضطلع بها الحج للمسلمين في الصين فهم حقائق الإسلام من خلال أداء مناسك الحج وآثاره ومشاعره، وعودتهم إلى الإسلام الأصيل، والعمل به بعد عودتهم من الحج إلى بلادهم.

3. إن التحديات الداخلية والخارجية لا يمكن التغلب عليها إلا بالعودة إلى الفهم الصحيح للإسلام، وجمع الشمل مع روح التعاون فيما بين المسلمين.